مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد التاسع - السنة الخامسة. محرم ١٤٤٢هـ، الموافق أغسطس ٢٠٢٠م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية «دراسة تطبيقية»
  د. طلال بن أحمد بن علي بن محمد
- الإيجاز الأسلوبي في تفسير أبي السعود تفسير سورة آل عمران أنموذجا
  د. ميلود عزيبة
- عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن
  بشرى باجي
- أسباب حفظ النعم ودفع النقم في ضوء القرآن الكريم
  د. منيرة بنت عبد العزيز بن علي السعوي
- دلالات سبع وجوب اتباع السنة النبوية في القرآن الكريم «دراسة تحليلية»
  د. بسام مفتاح الأغبر
- تقرير رسالة علمية بعنوان: الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم
  زكريا بن عبد الرحمن بن محمد بافضل
- تقرير عن نتاج مشكاة التابع لمركز تفسير للدراسات القرآنية
- تقرير عن ملتقى: التجديد في التفاسير المعاصرة: «عرض ونقد»

دَلَالَاتُ صِيَغِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

د. بَسَّام مِصْبَاح الأَغْبَر

الأستاذ بوزارة التربية والتعليم الفلسطينية

- حاصل علىٰ درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة النجاح الوطنية- فلسطين، بأطروحته: (الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجًا).
- حاصل علىٰ درجة الدكتوراه: اللغة العربية- العلوم اللغوية. بكلية اللغات الرئيسة- بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية - ماليزيا. بأطروحته: (الشواهد الصرفية في معجمي «ديوان الأدب» و«مقاييس اللغة» تحليل صوتي صرفي إحصائي، في ضوء علم اللغة الحديث).

مِن النتاج العلمي:

١. ظاهرة القلقلة في الدرس التراثي في ضوء الدرس الصوتي الحديث دراسة تطبيقية علىٰ سورة البقرة. مجلة الجامعة الإسلامية - غزة.
٢. التعلم مدىٰ الحياة وتطبيقه في مجالات التربية الإسلامية. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.
٣. جهود علماء فلسطين في تحقيق المخطوطات، المحقق العامودي نموذجًا. المؤتمر الدولي للمخطوطات والوثائق التاريخية. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية- ماليزيا.
٤. علم الصوت الصرفي في المعاجم العربية، جهود مبذولة وآمال مرجوة. المجلة العلمية العلامة. مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب. جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر. عدد٧.
٥. أسس التنغيم ومبادئه في القرآن الكريم، نماذج مختارة. المحفل العلمي الدولي- ماليزيا.

البريد الإلكتروني: BASSAMAGHBAR@GMAIL.COM

مستخلص البحث

أمر الله ﷻ المسلمين بضرورة الالتزام بما يقوله رسول الله ﷺ لهم، في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وتعددت صيغ تلك الأوامر القرآنية المقالية، التي بلغت عشر صيغ قرآنية، واختلفت فيما بينها حسب وضعها المقامي، ويهدف هذا البحث إلىٰ حصر تلك الصيغ القرآنية، وتجلية معانيها، وبيان أوجه الاختلاف فيما بينها، ومعرفة الحقول الدلالية التي تنبثق منها، ولتحقيق أهداف هذا البحث، سوف يعتمد الباحث المنهجين الوصفي التحليلي، والإحصائي. فقد يظنُّ المتلقي للنص القرآني، أنَّ هذه الصيغ تؤدي نتيجة واحدة، وهي ضرورة اتِّباع السُّنَّة النبوية، وهنا تكمن مشكلة هذا البحث، فهذه الصيغ تختلف بنيتها اللغوية المقالية أولًا، وتختلف، أيضًا، في سياقها النصي المقامي ثانيًا، وسوف يؤدي اجتماع هذين السببين إلىٰ الكشف عن أساليب التأييد القرآني للنبي محمد ﷺ فيما يصدر عنه، من أقوال وأفعال، في مجتمعه وبين اتباعه، كما سيؤدي إلىٰ بيان بعض معالم المنهج التربوي الرباني لتوظيفه في الحياة العملية، وسيكون ذلك من أبرز نتائج هذا البحث.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، السُّنَّة النبوية، الدلالة، اتِّباع، وجوب.

Abstract

Allah (Glory be to Him) ordered His worshipers to strictly follow His Messenger (peace be upon him) in different ayas in the Holy Quran. There are ten commands in the Quran, which are different from each other according to the occasions of their revelation. This research aims to identify these commands, clarify their meanings, show their aspects of variation, and identify the semantic aspects extracted from them.

To achieve the objectives of this research, the researcher will apply the descriptive, analytical and statistical approaches. The reciter of the Holy Quran may believe that these commands lead to one result, which is the obligation to follow the Sunnah of the Prophet, and here lies the problem of this research. As these commands differ in their linguistic structures, and in their textual contexts. Thus, these two reasons will reveal the styles of the Quranic support to the statements and deeds of Prophet Mohammad (peace be upon him) whether in his community or among his followers. In addition, they will lead to identifying some features of the heavenly educational approach to apply it in real-life situations. This will be one of the main findings of this research.

Key words: The Holy Quran, the Sunnah, indication, following, obligation

Indications of the Quranic Commands to follow the Sunnah of Prophet Mohammed: An Analytical Study

Dr. Bassam Mosbah Aghbar
Professor at Palestine's Ministry of Education:
Email: (bassamaghbar@gmail.com)

The research is consistent with the general vision of the magazine. It handles subjects achieving the objectives of the magazine. The research employs the theoretical and applied approaches. In addition, it sheds light on a specific scientific area through which the researchers can discuss the research and the scientific views therein. The research also incorporates the different sciences of the Holy Quran and opens new prospects in the subject under study.

المقدمة

الحمدُ لله الرحمنِ، خالقِ الإنسان، مُعَلِّمِه البيانِ، مُرْسِلِ المصطفىٰ العدنانِ، بكتابٍ يفيض بالحجة والبرهان، والصلاة والسلام، علىٰ الـمُؤَيَّدِ من ربه، بلَّغَ فأحسنَ البلاغ، وبعد؛

فقد تعهد الله سبحانه، بِحفْظِ كِتَابِه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فهو الكتابُ، الذي شَهِدَ لِفصَاحَتِه أَرْبَابُها، وعَلِمَ بِصدْقِهِ أَعداؤه قَبْلَ اتباعِهِ، هو كتاب هدىٰ ونور، يُستضاءُ به في ظُلماتِ الحياة الموحشة، ففي كلِّ موضع منه آيات معجزة، وطولُ تدبره يُعطي فِراسةً باهرة، ويزيدُ النفس يقينًا وثقة، وإذا ما أراد مُتفيقِهٌ أن يطعن فيه، وظنَّ أنَّه علىٰ ذلك قادرٌ، فإنَّه سرعان ما ينكص علىٰ عقبيه، خاسرًا داريه.

يظهر، في كلِّ عصر من العصور، مُدَّعُو علم، لا همَّ لهم، سوىٰ الطَّعن في الدين، وإقامة الشُّبهات التَّافهة حوله، ومِنْ هؤلاء مَنْ يُريد، بسبب جهلٍ فيه، أو تجاهل، نفي السُّنَّة النبوية من حياة الناس، ويقولون إنَّنا نَحْتكم بأوامر الله القرآنية، ولم يعلم هؤلاء الأفَّاقون، أنَّ الله يُكذِّبُهم، والقرآن يهدمُ بُرهانَهم، والعقل يرفضُ أفكارَهم؛ فكيف لنا أن نترك السُّنَّة النبوية، وفيها ما فيها من أحكامٍ وتفصيلات، وتشريعات، جاءت في كتاب الله بالعموم؟! ثُمَّ، كيف نرفضُ أحكامَ مَن اختاره اللهُ لِتبليغ دعوته، ونشر دينه؟! والرسولُ ﷺ قد أشارَ إلىٰ مثل فِعْلِ هؤلاء السفهاء، عندما قال: «أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»(١).

بل، ماذا نقول - إن أخذنا برأيهم - في آيات كثيرة من القرآن الكريم، دعتنا إلىٰ الالتزام بما يصدرُ عنه ﷺ؟! فقد وردت صيغٌ قرآنية، توجب اتِّباع السُّنَّةِ النبوية، اختلفت اشتقاقاتُها الصَّرفية، وأساليبُ تعبيرها اللغوي، حسبَ وَضْعِها القرآني المقامي، بل، إنَّ الصيغةَ الواحدةَ اشتُقت من بعضها صيغٌ متعددة، أَضافتْ دلالاتٍ معنوية تختلف أيضًا فيما بينها، ومن ذلك، علىٰ سبيل المثال، المادة اللغوية، «ط و ع»، التي نَعُدُّها مادةً مركزيةً، وأساسيةً فيما نحن بصدده في هذا البحث. فقد جاء في بعض مواضع القرآن الكريم، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال:٤٦]، ووردَ في موضع آخر، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، فهل الدلالة هنا واحدة؟ وإذا كان هناك اختلاف، فما هو؟ إضافةً إلىٰ غيرها من الصِّيغ القرآنية الأُخرىٰ، التي سيقف البحثُ عليها شرحًا وتحليلًا، وقبل الدخول في هذا الشرح والتحليل، نعرض أهمية هذا البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأقسامه.

أولًا- أهمية البحث:

استنباط الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وتحديد مواضعها القرآنية، وبيان أوجه الاختلاف المقامي القرآني فيها.

١. تحليل الصيغة القرآنية، وتفسيرها من منظور علم اللسانيات الحديث، من جوانبه المتعددة؛ صوتًا، وصرفًا ونحوًا، ودلالةً.

(١) **سنن الترمذي**. الترمذي، محمد بن عيسىٰ. أبواب العلم: باب ما نهىٰ عنه أن يُقال عند حديث النبي. رقم الحديث: (٢٦٦٤). (٥/ ٣٨).

٢. توظيف علم الإحصاء اللغوي، في تفسير قضية قرآنية، دون المساس في قدسية النص القرآني.

٣. تفسير دلالات إحصائيات الصيغ القرآنية، وما يرشح عنها من ظلال لغوية، تتجلىٰ في تلك الفروق الإحصائية.

٤. الوصول إلىٰ أنَّ السنة النبوية واجبة الاتباع بدلالة النص القرآني الصريح.

ثانيًا- أسباب اختيار البحث:

١. السعي إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ ﷻ، في تدبر كتابه العظيم، وتحليل قضية متصلة بنبيه الكريم ﷺ.

٢. يزعم كثير من مدعي العلم، في عصرنا الحالي، أنَّ السنة النبوية غير واجبة الاتباع، ولم يأمر الله تعالىٰ بذلك، ويكفينا ما جاء في القرآن الكريم من أحكام وأوامر وشرائع، وفي هذا البحث، ردٌ قرآني صريح علىٰ تلك المزاعم.

٣. يُعدُّ توظيف علم الإحصاء اللغوي، حسب اطلاع الباحث، قليل الاستعمال في القضايا القرآنية، وهو علم يُعطي نتائج واضحة، إذا كانت مدخلاته سليمة.

ثالثًا- أهداف البحث:

١. تحديد الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وتحديد مواضعها القرآنية.

٢. تفسير الفروق اللغوية والدلالية بين تلك الصيغ.

٣. تحليل النسب المئوية لتلك الصيغ، بشكل عام، وإظهار الفروق اللغوية فيما بينها بشكل خاص، اعتمادًا علىٰ علم اللسانيات الحديث.

رابعًا- الدراسات السابقة:

اعتمد البحث علىٰ ما أنتجه علماء تفسير القرآن الكريم بعامة، وعلماء اللغة بخاصة، ولم يجد الباحثُ، حسب اطلاعه، وما تمكن من الوصول إليه، علىٰ بحث خاص يعالج هذه الصيغ من منظور لغوي لساني حديث، وقد ذُكرت المصادر والمراجع في مواضعها، إضافة إلىٰ إلحاقها بقائمة في نهاية البحث.

خامسًا- منهج البحث:

لقد قام الباحثُ باتِّباع أُسس المنهجين الوصفي والإحصائي؛ فعمد إلىٰ عملية استقرائية للقرآن الكريم، للبحث عن الصيغ القرآنية، التي توجب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وبعد عملية إحصاء دقيق، وتدبر طويل، وجد الباحث تسعَ مواد لغوية قرآنية، اشتقت منها صيغٌ متعددة، بعضها ورد في أكثر من موضع مقامي قرآني، وبعضها الآخر، ورد مرةً واحدة، وقام الباحثُ بدراسةِ هذه الصيغ، وتحليلِها من الناحية اللغوية، وفسَّرَ دلالاتِ الأرقام الإحصائية، والنسب المئوية التي ظهرت، مُستعينًا بالرسوم البيانية التي توضح توزيعاتها المختلفة.

سادسًا- خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وستة مباحث، وخاتمة، موزعة علىٰ النحو الآتي:

المقدمة

وتشمل أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات

السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان، هما:

١ , ١ أسلوب الأمر.

١ , ٢ أسلوب الشرط .

المبحث الثاني: المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان، هما:

١ , ٢ الاسم: الحكمة

الفعل: يحكم

المبحث الثالث: المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم

المبحث الرابع: الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم.

المبحث الخامس

الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم.

المبحث السادس: الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم.

الخاتمة والنتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

دلالات صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم

يُظهر الرَّسم البياني رقم (١) الصيغ القرآنية التي توجب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، ونسبها المئوية.

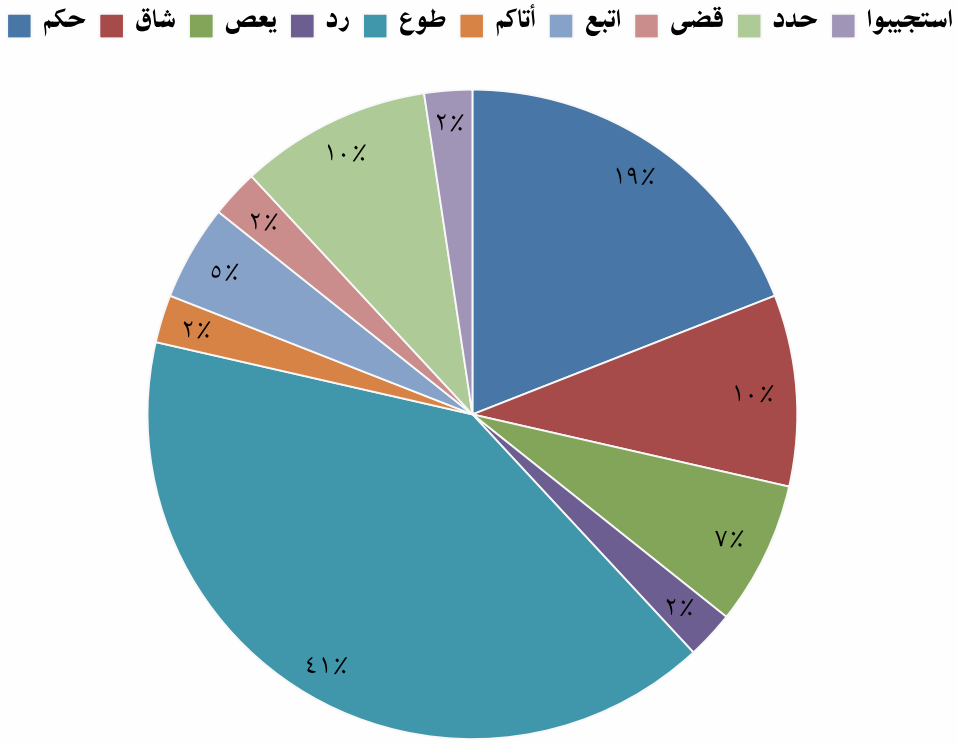

الرَّسم البياني رقم (١)

ونأتي الآن، لتحليل هذه الصيغ القرآنية، عبر توزيعها في المباحث الآتية:

المبحث الأول

المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم

يدل الجذر اللغوي (ط و ع) على الانقياد(١)، وقد قالت العرب: «فلانٌ طَوْعُ يديك؛ أي منقادٌ لك. وفرسٌ طَوْعُ العنان، إذا كانَ سلسًا»(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فهذا الجذرُ اللغويُّ يدلُّ على الانقياد، وتنفيذ الأوامرِ دون تأخر أو مماطلة. وقد استعمل القرآن الكريم، هذا الجذر اللغوي، في تكوين صيغ اشتقاقية متعددة منه، مثل: أطيعوا، أطاع، يطع، تطيعوا، طاعة، وغيرها من الصيغ الاشتقاقية، التي وردت في كلام الله تعالى، وكانت لها وظيفةٌ دلالية تُفهم من خلال المقام المقالي القرآني.

وعند تتبع المادة اللغوية (طوع) في القرآن الكريم بعامة، وما يخصُّ وجوب اتِّباع السُّنَّة النبوية بخاصة، ظهر للباحث، بالإحصاء الدَّقيق، كما يُبين الرَّسم البياني رقم (١)، أنَّ هذه المادة اللغوية وردت سبع عشرة مرة؛ أي ما نسبته (٤١٪)، من الصيغ القرآنية التي تُلزم اتِّباع السُّنَّة النَّبوية، وقد توزعت هذه المادةُ اللغوية على الأسلوبين النَّحويين الآتيين:

(١) مقاييس اللغة لابن فارس. (٣/ ٤٣١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لابن حماد. (٣/ ١٢٥٥).

أولًا- أسلوب الأمر «أطيعوا»، وقد ورد في أحد عشر موضعًا؛ ويُظهر لنا الرَّسم البياني رقم (٢) أنَّ هذا الأسلوب بلغت نسبتُه (٦٥٪)، من ورود المادة اللغوية (ط و ع)، في سياقات تركيبية قرآنية متعددة المواضع، ومختلفة التركيب اللغوي.

ثانيًا- أسلوب الشرط الجازم، «من يُطع» وقد جاء في ستة مواضع؛ أي ما نسبته (٣٥٪)، من ورود المادة اللغوية (ط و ع)، كما يُظهر في الرَّسم البياني رقم (٢)، ولم يَجرِ هذا الأُسلوب علىٰ نسق تركيبي واحد.

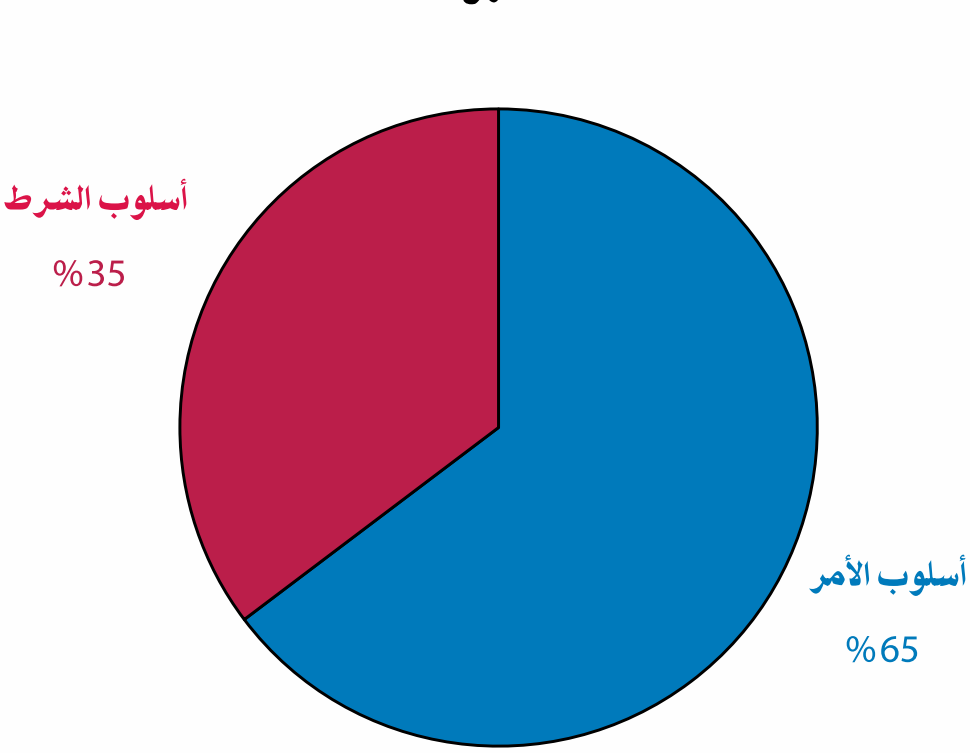

الرَّسم البياني رقم (٢)

وفيما يأتي تحليل لكل أسلوب منهما:

١,١ أسلوب الأمر

يمكن لنا تقسيم هذا الأسلوب، كما ورد تركيبه في القرآن الكريم، إلىٰ أربعة أقسام، هي:

١,١,١. الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقد ورد هذا الأسلوب في ثلاثة مواضع، هي: الأنفال:١، ٤٦، والمجادلة:١٣.

١,١,٢ الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وورد في موضع واحد في سورة آل عمران: ١٣٢.

١,١,٣ الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، وورد في خمسة مواضع، هي: النساء:٥٩، والمائدة: ٩٢، والنور: ٥٤، ومحمد:٣٣، و:التغابن: ١٢.

١,١,٤ الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، وورد في موضع واحد في سورة النور: ٥٦.

وفيما يأتي تحليل لتلك الأساليب اللغوية:

١,١,١ الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

يتكون هذا الأسلوب من فعل أمر موجه إلىٰ المؤمنين، بضرورة الالتزام بطاعة الله تعالىٰ ورسوله الكريم، ويُلاحظ فيه إضافة ضمير الهاء إلىٰ كلمة «رسول»، ويعود هذا الضمير إلىٰ لفظ الجلالة «الله»، فلماذا جاء هذا التركيبُ القرآني بهذه الصيغة اللغوية؟

إنَّ إجالة النَّظر في مواضع ورود هذا الأمر القرآني، يُعطينا أكثرَ من دلالةٍ تربوية سامية، تسعىٰ إلىٰ رُقي النفس المؤمنة، من أجل ذلك، جاء هذا الأسلوب ليعالجَ أمورًا مادية قد تزلُّ بها قدمُ النَّفس البشرية المؤمنة، إن لم يتم تربيتها وفق المنهج الإلهي الذي ارتضاه خالق هذه النفس.

لقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، كما ذكرنا سابقًا، في ثلاثة مواضع، أولها قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] والحديث في هذه الآية، يدور حول أمور مادية اختلف فيها المسلمون بعد تمكين الله لهم، وانتصارهم علىٰ عدوهم، وهذا الاختلاف كان حول تقسيم الغنائم، وتوزيعها عليهم، فقد سُئل عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَنِ أسباب نزول آيات الْأَنْفَالِ. فَقَالَ: «فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ»(١)، ولما كان سبب الخلاف ماديًا، فإنَّ شيئًا من السُّوء قد يتسربُ إلىٰ النَّفس البشرية، وتسودُ الشَّحناء بين الإخوة، وتتسربُ البغضاء إلىٰ نفوسهم، ولمنع ذلك كله، قسَّم الرسول الغنائم بين المقاتلين بِعَدْلِهِ الكبير، وتشريعه القويم، عندها، نزلَ أمرُ الله من السَّماء، مُؤَيِّدًا لتشريع الرسول ﷺ؛ فهذه الآية تدعو المؤمنين إلىٰ الامتثال لما يأمرهم به اللهُ ورسولُه، ولإظهار المبالغة فِي ضرورةِ تنفيذ الأوامر، استُخدِم أسلوب الشرط الجازم؛ لأن الإيمان الَّذِي دَعَا إليه الرَّسُولُ وَرَغِبَ المؤمنون فِيهِ «لَا يَتِمُّ حُصُولُهُ

(١) **المسند**، ابن حنبل، أحمد. تتمة مسند الأنصار: حديث عبادة بن الصامت. رقم الحديث: (٢٢٧٤٧). (٣٧/ ٤١١).

إِلَّا بِالْتِزَامِ هَذِهِ الطَّاعَةِ، فَاحْذَرُوا الْخُرُوجَ عَنْهَا»(١).

إنَّ التَّوجيه النَّبوي للمؤمنين، توجيه وقائي، يُرشد التابعين إلىٰ سبل السلامة، ويدعِّمُ روابطَ الأخوة بينهم، وهو يسعىٰ إلىٰ رصِّ الصفوف، وتمتين العلاقات الداخلية للمجتمع المسلم، وإذا ما وقع خلاف داخل المجتمع، يكون التدخل سريعًا، والعلاجُ جاهزًا، كما حدث في توزيع الغنائم.

ومن التوجيهات الوقائية التي خطَّها الرسول ﷺ، ضرورة الطاعة المطلقة أثناء المعركة، وبعدها، وعدم الالتفات إلىٰ الدُّنيا ومفاتنها، ومن ذلك، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وَيُقصدُ بالطَّاعَة في هذه الآية، طاعة «رَسُوله فِيمَا يُرْشِدُهُمْ إِلَيْهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّنَازُعِ، وَهُوَ الِاخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَسَبَّبُ عَنْهُ الْفَشَلُ»(٢)، وذهاب الدولة التي يسعىٰ الإسلام إلىٰ إقامتها، وزيادة ديمومتها، ومثل ذلك، ما حدث مع الرماة في معركة أحد، عندما قال لهم ﷺ: «**لَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا، فَلَا تُعِينُونَا**»(٣)، فلم يستجب بعضهم لهذه الأوامر، فكانت النتيجة، دخول المشركين إلىٰ ساحة المعركة، من الثغرة التي يجب أن يُدافِعَ عنها المقاتلون المأمورون.

ومِنَ التَّوجيه الوقائي القرآني للمسلمين، الحثُّ علىٰ تزكية النَّفس المؤمنة

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٥/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٢) فتح القدير، للشوكاني(٢/ ٣٥٩).

(٣) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ابن حبان، محمد. باب الخروج وكيفية الجهاد: ذكر ما يستحب للإمام أن يوصي بعض الجيش إذا سواهم للكمين. رقم الحديث: (٤٧٣٨). (١١/ ٤٠).

بتقديم الصدقات، والقربات إلىٰ الله ﷻ ، فإذا لم تجد هذه النَّفس ما تتصدق به، يكفيها القيام بالفرائض، والالتزام بطاعة الله ورسوله، التي تعادل الصدقة المادية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]

إن تدبر المواضع القرآنية الثلاثة السابقة، يُظهر لنا، أن المواضع المقالية القرآنية، تتحدث عن أمور مادية، فإذا لم يتم وضع أسس سليمة للتعامل معها، فقد ينشأ خلافٌ بين أبناء الصف الواحد، فشرَّع الرسول ﷺ بتأييد من الله ﷻ، ما يمنع مثل ذلك التنازع، وحتىٰ يكون هذا التشريع النبوي مؤيَّدًا، فقد أُضيف ضمير الهاء إلىٰ كلمة «رسول»، الذي يعود إلىٰ لفظ الجلالة «الله» مما أكسبَ الرَّسولَ ﷺ أمور، أهمها:

أ. التَّعظيم؛ وقد ظهر ذلك جليًا عندما نسب الله، جلَّ في علاه، الرَّسول إلىٰ ذاته العلية.

ب. صلاحية تشريعات الرَّسول، أي؛ إنَّ ما يأمركم به الرسول، أيها المسلمون، الله راض عنه، ويجب عليكم تطبيق سنته وتنفيذها، ومن يخرج عمَّا يُشرِّعه الرسول، فقد خرج عن طاعة الله.

ج. إشعار الرَّسول بدفء الود والأُلفة مع الله، عندما أضاف طاعة الرَّسول إلىٰ طاعته، ﷻ.

٢ , ١ , ١ الأمر بطاعة الله والرَّسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾

يتفق هذا الأسلوب مع ما سبق في تعريف كلمة «رسول»، ولكن هذا الأسلوب

جاء معرفًا بـ «ال» التعريف، وحتىٰ ينجلي لنا هذا التغاير، نعود إلىٰ السياق القرآني الذي ورد فيه أمر طاعة الرسول، ففي الموضع الأول يقول العزيز الحكيم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١- ٣٢]

في الخطاب القرآني السابق دعوة لاقتران القول بالفعل، فقد زعم قومٌ في عهد النبي ﷺ «أنهم يحبون الله فأراد أن يجعلَ لقولهم تصديقًا من عمل، فمن ادَّعىٰ محبته وخالفَ سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه»(١). وتصديق محبة الرَّسول ﷺ تكون بطاعته المطلقة، تلك المحبة التي «مِنْ آثَارِهَا مَحَبَّةُ مَا يَسُرُّهُ وَيُرْضِيهِ، وَاجْتِنَابُ مَا يُغْضِبُهُ، فَتَعْلِيقُ لُزُومِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ دَعَا إِلَىٰ مَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ وَإِلَىٰ إِفْرَادِ الْوِجْهَةِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ كَمَالُ الْمَحَبَّةِ»(٢). فجاء الأمر الإلهي، أن أطيعوا الله، والرَّسول الذي تعرفونه، وتزعمون محبته، فإن توليتم عن سنته، واتِّباع ما يأمركم به، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وهنا نلاحظ أنَّ الله تعالىٰ، جعل من يُنكر سنة رسوله، وعدم الالتزام بأوامره، من الكافرين.

وتُعدُّ صيغة فعل الأمر «اتبعوني» من صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيثُ بلغت نسبتها (٢٪)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

وفي الموضع الثاني، من هذا الأسلوب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وهنا أيضًا دعوة إلىٰ تصديق القول بالعمل، وقد ذهب

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر (١/ ٣٥٣).

(٢) التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر. (٣/ ٢٢٨).

بعض المفسرين إلىٰ أن في هَذِهِ الْآيَة مُعَاتَبَة «لِلَّذِينِ عَصَوُا الرَّسُولَ ﷺ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ»(١) فالله تعالىٰ يأمرُ المؤمنين بطاعة الرَّسول، «الذي شرع لكم الدِّين، وبلَّغكم الرسالة»(٢)، وهو أعلم بأموركم، وما فيه مصلحتكم، وعند طاعته تنالون رحمة الله تعالىٰ.

إنَّ الخطابَ، في الموضعين السابقين، موجهٌ إلىٰ المؤمنين، وفيه طلب تصديق القول بالعمل، وقد جاءت كلمة «رسول» مُعرَّفة بـ «ال التعريف»؛ لأنَّ الرسولَ هنا معروفٌ للمُخاطَبين، وأسلوب التعريف هذا، معروف في العربية، والاسم يُصبح معرفةً، إذا أردنا «بالألف واللام الشيءَ بعينه دون سائر أُمَّته»(٣). والرَّسول قد أمرهم بأمورٍ يجب تنفيذها، وعصيانها، فيه معصية لله تعالىٰ، مما جعل الخطاب القرآني يُحذِّر من مآل معصية الله والرسول؛ فمن تولىٰ وعصىٰ، كان مصيره الكفر والعذاب، ومن أقبل وأطاع، كان مصيره القبول والنعيم.

١,١,٣ الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

يختلف المقام المقالي للخطاب القرآني في أمر طاعة الرَّسول ﷺ عمَّا سبقه من الأساليب التي سبق لنا تدبرها؛ ففي هذا الأسلوب إعادة لفعل الأمر «أطيعوا» مع الرسول، وقد ورد هذا الخطاب، في خمسة مواضع متفرقة في القرآن الكريم، أولها، قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٩/ ٣٦٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي. (٢/ ٢٧٠).

(٣) الكتاب. سيبويه، عمرو بن عثمان. (٢/ ٥).

﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، تُظهرُ في هذه الآيةُ إلزامية إطاعة الرَّسول، واتِّباع سنته، وهذه الطَّاعة مطابقة لطاعة الله؛ فالرَّسولُ ﷺ يشرحُ أوامرَ الله للناس، ويُبيِّن لهم أيَّ اختلاف قد لا يعرفون خباياه، والله تعالىٰ قد أمر المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله، ثم طاعة أولي الأمر؛ ويظهر الاختلاف بين طلب طاعة الله وطاعة الرَّسول، من جهة، وطلب طاعة أولي الأمر من جهة أخرىٰ؛ فطاعة أولي الأمر لم تُسبق بفعل الأمر «أطيعوا»؛ حتىٰ تكونَ طاعةُ الرَّسولِ أعلىٰ «مَرْتَبَةً مِنْ طَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ»(١)، وكأنَّ طاعةَ أولي الأمر واجبةٌ، إذا كانت امتدادًا لطاعة الرَّسول، وسنته ﷺ وهؤلاء قد يجتهدون، ويُشرِّعون فيلزمهم الصواب تارة، أو الخطأ تارة أخرىٰ، في حين، لا يكونُ تشريعُ الرَّسول ﷺ وأحكامُه، وتعليماتُه، إلا مؤيدةً من الله تعالىٰ، ولا يُمكن أن يعتريها ريب، أو أن يعلوها خطأ، ويظهر ذلك في قوله تعالىٰ، في الآية نفسها ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ومعنىٰ رَدَّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ «بأن تردوه إلىٰ سنته»(٢) فإذا كان الله تعالىٰ، يأمر الناس عند النزاع، العودة إلىٰ قوله، جل في علاه، وإلىٰ أحكام رسوله، فإنَّ ذلك يجعل السُّنَّة النَّبوية وأقوال نبيه في مرتبة عُليا، تُلاصق، أو تقترب من أوامر الله تعالىٰ، وفي هذا تشريفٌ عظيم، من الله إلىٰ السُّنَّة النبوية، وتُعدُّ صيغة فعل الأمر «ردوه» من صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيثُ بلغت نسبتها (٣٪)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

والموضع القرآني الثاني، من هذا الأسلوب الخطابي، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ٩٧).

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله. (ص: ١٣٠).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩١-٩٢]، وهذه الأوامر القرآنية، تأتي في سياق تهذيب النفس البشرية، وإعلاء شأنها، ويجب علىٰ المؤمنين الامتثال إلىٰ أوامر الله العليا، وطاعته، وطاعة الرسول في شرحه لتلك الأوامر، وطرق تنفيذها، فالله تعالىٰ يأمر، والرسول يُنفذ ويشرح ويفسر. وقد شرَّف الله تعالىٰ نبيه الكريم، عندما نَسَبَهُ إلىٰ ذاته العَلِيَّة، وذلك عندما أضاف ضمير «نا» في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾، وإضافة إلىٰ التشريف، تظهر الوظيفة التي حملها الرسول الكريم، وهي وظيفة تبليغ الأوامر الإلهية، وتعليم الناس أمور دينهم؛ فمن أطاع الرسول، فقد أطاع الله. ويؤكد الله تعالىٰ هذا المعنىٰ في موضع مشابه لما سبق، وهو الموضع الثالث، عندما قال في سورة التغابن: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢]

وينساق الموضع القرآني الرابع، مع ما سبقه، عندما ربط الله علىٰ قلب نبيه، في قوله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، إنَّ هذا الربط جاء بعد الأمر بطاعته، فَإِنْ تَوَلَّوْا «عَنْ طَاعَةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فَإِنَّمَا عَلَىٰ الرَّسُولِ مَا حُمِّلَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ الطَّاعَةِ»(١)، ونتيجة هذه الطاعة، الفوز في الدارين، وحصول الهداية، وقد قرر الله تعالىٰ ذلك بأسلوب نَحْوي قاطع، وهو أسلوب الشرط الجازم، الذي يقوم علىٰ فعل وجواب، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ ففعلكم الطاعة،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٩/ ٣٦٤)

نتيجته الهداية، وهذه الهداية لا تشمل الحياة الدنيا فقط، بل يمتد أثرها إلىٰ الآخرة، كما قررت الآية التالية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٠]، لقد جاء الموضع الأخير من هذا الأسلوب، وهو الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، في سياق تحذير المؤمنين من ذهاب حسناتهم، وأعمالهم الصالحة لتصبح سرابًا لا فائدة منه، بسبب بعض الأعمال السيئة، مثل الرياء والسمعة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، وإضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ الأمر بطاعة الرسول هنا، جاء لتحذير المؤمنين من أن يسلكوا سبيل أهل الكتاب الذين أبطلوا أعمالهم «بِتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَعِصْيَانِهِ»(١)، حيث علم أهلُ الكتاب، بصدق الرسول، ومطابقة مواصفاته وتَبَيُّن لهم الْهُدَىٰ بأَن «مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ»(٢). ويمكن القول، إنَّ إعادة الفعل «أطيعوا» في هذه الآية، جاء للتحذير من معاملة المؤمنين للرسول ﷺ، كما عامل اليهودُ أنبياءَ الله ورسله، حيث كذبوهم، ولم يطيعوا أوامرهم، وخالفوا سننهم، فأعاد الفعل هنا للتأكيد علىٰ أهمية اتِّباع الرسول وتشريعاته، وسنته، والعمل بما يَطْلُبُ منهم.

٤ ,١ ,١ الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

ينفرد هذا الأسلوب بطريقة خطابه القرآني، حيث جاء الأمر فيه بطاعة الرسول، دون ذكر لطاعة الله تعالىٰ، وقد ورد ذلك في آية واحدة من القرآن الكريم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٨/ ٦١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٢٦/ ١٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] إن السياق القرآني في هذا الخطاب، يُعطي رسول الله، حقَّ التشريع، وإلزام المؤمنين بتنفيذ ما يُطلب منهم، فسياق الآية، يتحدث عن عبادات شرعها الله تعالىٰ لعباده، وفصَّل طريقة أدائها، وأحكامها، النبيُّ الكريم، فلا مجال فيها للمخالفة، فجاءت الطاعة للرسول فقط، وكأنها طاعة مطلقة لله تعالىٰ، وقد ذهب الزمخشري إلىٰ أن في ذلك «تأكيدًا لوجوبها»(١)؛ أي السُّنَّة، وقيل: «وأطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به.»(٢) لعل الله تعالىٰ يرحمكم، ويتكفل بحفظكم في حياتكم كلها، وعند قيام الأشهاد.

١,٢ أسلوب الشرط الجازم

لم يجرِ هذا الأسلوب علىٰ نسق تركيبي واحد، وقد توزعت المواضع الستة في ثلاثة أساليب لغوية، هي:

١,٢,١ الأسلوب الأول، الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وقد جاء ذلك، في ثلاثة مواضع، هي: النساء: ١٣، والنور: ٥٢، الفتح: ١٧. ويُضاف إليه، موضع واحد، في سورة الحجرات: ١٤، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

١,٢,٢ الأسلوب الثاني، الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، وقد جاء ذلك، في موضع واحد في سورة النساء: ٦٩.

(١) الكشاف، للزمخشري. (٣/ ٢٥٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي. (٩/ ٣٩٨).

١,٢,٣ الأسلوب الأخير، الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾، وقد جاء ذلك، في موضع واحد في سورة النساء: ٨٠.

يُعدُّ أسلوب الشرط، واحدًا من الأساليب النحوية التي تُوظَّفُ في النص لإعطاءِ دلالاتٍ متعددة، من أبرزها الإيجاز والتركيز، وقد اعتنىٰ العرب «بهذا الضرب من الكلام اعتناءً زائدًا، ومما يدلنا علىٰ إيثار القوم، قوة إيجازهم وحذف فواصل كلامهم ما جاءوا به من الأسماء المستفهم بها والأسماء المشروط بها، فإنهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام الكثير، المتناهي في الطول»(١)، ويتألف هذا الأسلوب، من أداة شرط، وفعل الشرط وجوابه، وتُعدُّ هذه المكونات النحوية، في منزلة الجملة الواحدة؛ فالشرط يكون «في مجموعِ الجملتين لا في كلِّ واحدةٍ منهما علىٰ الانفراد، ولا في واحدةٍ دونَ الأخرىٰ، لأنَّا إنْ قلنا إنه في كل واحدة منهما علىٰ الانفرادِ، جعلناهُما شَرْطين، وإذا جعلناهُما شرطينِ اقتضَتا جَزَاءَيْن، وليس منه إشراكُ ما ليس بشرطٍ في الجزم بالشرط»(٢). ولهذا الأسلوب أحكام وتفصيلات مذكورة في كتب النحو والبلاغة(٣)، ولكنَّا فضلنا التركيز علىٰ غرضه، ومكوناته، لأنَّنا سنستخدمها في تحليلنا لهذا الأسلوب فيما يأتي:

١,١,١ الأسلوب الأول، الأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك في مثل قوله تعالىٰ:

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. ابن الأثير، نصر الله بن محمد. (ص:١٢٢).

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني، عبد القاهر. (ص:٢٤٦).

(٣) يُنظر، علىٰ سبيل المثال:

- شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك. لابن عقيل عبد الله. (٤/ ٤١، وما بعدها).
- شرح المفصل للزمخشري. لابن يعيش، علي. (١/ ٤١٥، وما بعدها).
- معاني النحو، السامرائي، فاضل صالح. (٤/ ٥٣، وما بعدها).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

يتمثل هذا الأسلوب القرآني بأسلوب الشرط الذي يُحدد الجزاء والنتيجة، إذا قام الشخصُ بما يترتب عليه من أفعال موكلة، فدخول الجنة، علىٰ سبيل المثال، يحتاج إلىٰ إقامة حدود الله، حسبما أمر الله تعالىٰ، وشرَّع لعباده، وبيَّن ذلك رسولُه الكريم في سنته، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣]، هذا الجنة، التي يسعىٰ للفوز بها كلُّ إنسان مؤمن، دائم الطاعة لله ولرسوله، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٧]، وهل هناك فوز بعد الفوز الكبير بالجنة؟! **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

ولنا وقفات سريعة مع هذا الأسلوب القرآني، هي:

أ) استخدم في المواضع السابقة الفعل المضارع، الذي يدلُّ علىٰ آنية الفعل واستمراريته [(١)]، فطاعة المؤمن لله ولرسوله دائمة مستمرة، في الأحوال كلها، عند إقامة حدود الله، والخروج إلىٰ المعركة، ومن معانيه المقصودة لـمَنْ يُطِع، أن يَتَّصِفَ «بِتَمَامِ مَعْنَىٰ الطَّاعَةِ؛ أَيْ أَنْ لَا يَعْصِيَ اللهَ وَرَسُولَهُ»[(٢)].

(١) معاني النحو، للسامرائي. (٣/ ٣٣٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ١١٦).

ب) سبق أن فصَّلنا الحديث حول إضافة الهاء العائدة إلىٰ لفظ الجلالة، في كلمة «رسول»، في النقطة (١, ١)، وما حققته هذه الإضافة من تشريف للنبي أولًا، ولبيان صحة السُّنَّة والتشريعات التي يضعها الرسول، ويحق له «أن يضع حدودًا من عنده لما حلل، وأن يضع حدودًا لما حرم. وهذا تفويض من الله لرسوله في أنه يُشرّع»(١) وفي ذلك حجةٌ واضحة علىٰ من يُنكر السُّنَّة النبوية، ويتعب نفسه ليجد دليلًا علىٰ صحة رأيه، دون فائدة.

ت) يُركز هذا الأسلوب علىٰ النتيجة، بإيجاز قوي، فنتيجة الالتزام بطاعة الله ورسوله، الجنة وما فيها من نعيم، في حين تكون نتيجة العاصي، ومَنْ يتولَّ عن الطاعة، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله، العذاب الأليم في «جهنم يوم القيامة»(٢).

ث) ورد أسلوب الشرط الجازم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في إطار وضع حدود لظاهرة النفاق، والقضاء عليها من المجتمع المسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]، فإن أخلصتم النية لله تعالىٰ، وأطعتم رسوله، وتركتم النفاق لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ؛ أي «لا ينقصكم شَيْئًا من

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر. الشعراوي، محمد متولي. (٤/ ٢٠٣٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، ابن جرير، محمد. (٢٢/ ٢٢٣).

أجورها أو شيئًا من النقص»[(١)]، وبذلك، يرتبط جزاء التخلص من النفاق، قبول الله لتوبتهم، وأن يهب لهم مغفرته، وينعم «عليهم بجزيل ثوابه»[(٢)]

١,١,٢ الأسلوب الثاني، الأمر بطاعة الله والرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

جاء أسلوب الشرط الجازم هنا، بتعريف كلمة «رسول» بأل التعريف، كما سبق الحديث في النقطة (١,١,٢)، الذي أظهر أن من يُحب الرسول، يجب أن يُطيعه، وأسلوب الشرط الجازم، يُكمل نتيجة طاعة الله والرسول، وهي صحبته ﷺ في الجنة، وقد ذكرت لنا كُتب الحديث النبوي، أن بعض أَصْحَاب رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ رُفِعْتُ فَوْقَنَا، فَلَمْ نَرَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩]، وفي إضافة «ال» التعريف تأكيد من الله تعالىٰ لصحة تشريع الرسول ﷺ، «وساعة تجد الرسول معطوفًا علىٰ الحق بدون تكرير الفعل فاعلم أن المسألة واحدة؛ أي ليس لكل واحد منهما أمر، بل هو أمر واحد، قول من الله وتطبيق من الرسول؛ لأنه القدوة والأسوة»[(٣)].

(١) روح المعاني، للألوسي. (١٣/ ٣١٨).

(٢) الكشاف، للزمخشري .(٣/ ٢٥٢).

(٣) تفسير الشعراوي – الخواطر، للشعراوي. (٤/ ٢٣٨٦).

١,١,٣ الأسلوب الأخير، الأمر بطاعة الرسول، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾.

يتطابق هذا الأسلوب، مع أسلوب الأمر السابق في (٤,١,١)، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء:٨٠]، ذكرنا أن من أسس أسلوب الشرط، التركيز علىٰ المآل، أو النتيجة التي يقوم عليها فعل الشرط، وفي الآية السابقة، ربط الله تعالىٰ طاعته، بطاعة الرسول ﷺ؛ لأنه «لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهىٰ إلا عما نهىٰ الله عنه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به، والانتهاء عما نهىٰ عنه طاعة لله»(١)، وهذا أكبر دليل علىٰ أنه ﷺ، «مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي»(٢)، ولو لم يكن معصومًا، لما جعل الله تعالىٰ، طاعةَ الرسول فيما يأمر، ويقضي، ويشرِّعُ للناس، من طاعته. ولقد قال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ»(٣).

وفي ختام تحليلنا للجذر اللغوي «طوع»، وما اشتق منه، من صيغة تعددت أساليبها اللغوية في القرآن الكريم، **نخلص إلىٰ أبرز النتائج الآتية:**

١. يُظهر لنا الرَّسم البياني السابق، رقم (٢)، أنَّ نسبة أسلوب الأمر في هذه الصيغة، بلغت (٦٥٪)، وهي الأعلىٰ، ومردُّ ذلك، أنَّ القرآن

(١) الكشاف، للزمخشري. (١/ ٥٣٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٠/ ١٤٩).

(٣) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل. كتاب الأحكام. باب قول الله تعالىٰ: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول» رقم الحديث: (٧١٣٧). (٩/ ٦١).

الكريم، دعانا، صراحةً، إلىٰ الالتزام بطاعة الرسول ﷺ وما شرَّعه لنا من أحكام، ومن معاني أسلوب الأمر، أنه يأتي من صاحب المرتبة العُليا لمن هو أدنىٰ منه(١).

٢. كان الخطاب في أسلوب الأمر، بصيغة «أطيعوا»، موجهًا إلىٰ المؤمنين؛ وذلك طبيعي؛ فهم قد آمنوا بالله ورسوله، فالله تعالىٰ، يُريد منهم إكمال إيمانهم، باتِّباع ما يأمرهم به نبيه، من أجل ذلك كانت نسبة هذه الصيغة، بأسلوب الأمر أعلىٰ.

٣. سلَّط أسلوب الشرط المستخدم في صيغة «يطع» الضوء علىٰ نتيجة الطاعة، وهي الفوز بمرضاة الله وجنته، فكان أغلب الخطاب في هذا الأسلوب، موجهًا إلىٰ المؤمنين، إضافة إلىٰ توضيح حقيقة الإيمان لمن أراد أن يَدخل في الإسلام، وهو توضيح موجه إلىٰ المنافقين، فلا إيمان لديهم يكتمل، إلا بطاعة رسول الله.

٤. تساوىٰ أسلوب إضافة الهاء، إلىٰ كلمة «رسول» في صيغة «ط و ع»، بشقيه؛ الأمر والشرط، حيث بلغت النسبة (٥٠٪)، كما يُظهر الرَّسم البياني (٣)، وذلك لزيادة تشريف النبي ﷺ وقبول الله تعالىٰ لأحكامه، وتشريعاته. كذلك تساوىٰ أسلوب ورود كلمة «الرسول» مفردًا، في الأسلوبين كليهما؛ لإعطاء الرسول حقَّ التشريع وتوضيح الأحكام إلىٰ الناس.

(١) أمالي ابن الشجري، ابن الشجري هبة الله بن علي. (١/ ٤١٠. بتصرف).

٥. بلغت نسبة إضافة «ال» إلىٰ كلمة «رسول»، في أسلوب الأمر (٦٨٪)، في حين بلغت في أسلوب الشرط (٣٢٪)، كما يُظهر الرَّسم البياني (٣)، وذلك عائدٌ إلىٰ وضع أحكام الرسول في مرتبة عُليا، ويجب تنفيذها، فكانت نسبة أسلوب الأمر أعلىٰ، وأن هذا الرسول معروف لديكم، فمن أراد مرافقته في الجنة، فليتبع أوامره، ونواهيه، في الدنيا.

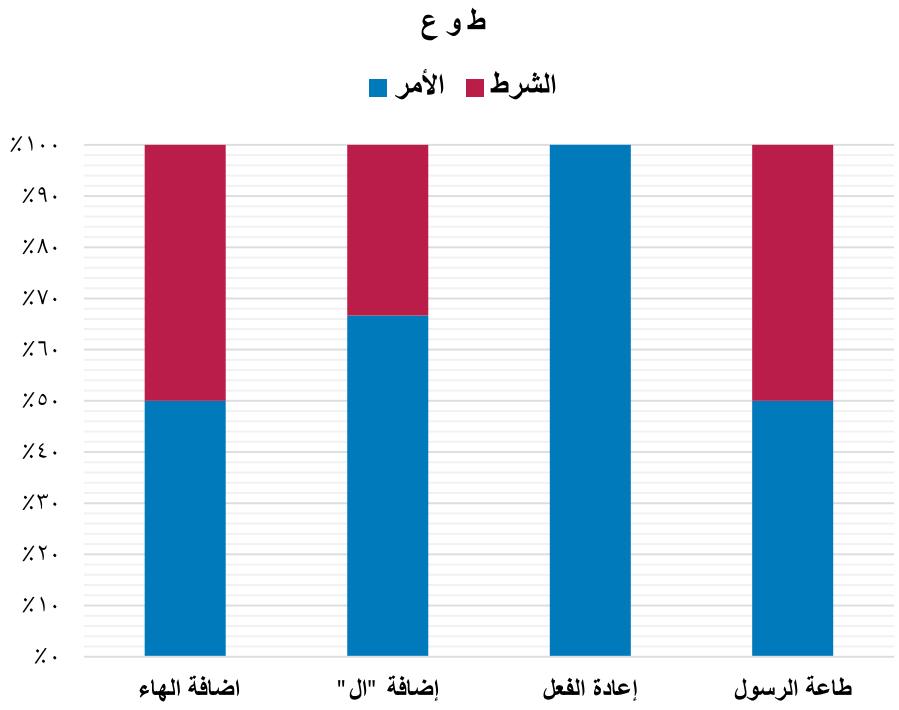

الرَّسم البياني رقم (٣)

المبحث الثاني

المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم

يُعطي الجذر اللغوي (ح ك م)، معانيَ متعددة، يرجع أصلها، إلىٰ معنىٰ المنع، ومنه «منع الظلم»(١)، وتُشتق من هذا الجذر اللغوي، صيغ لغوية كثيرة، تُستخدم حسب الموقع المقالي لها، ومن ذلك الحِكمةُ، وقد سُميت بذلك لأن «مَرْجِعُها إلىٰ العَدْل والعِلْم والحِلْم»(٢)، وقال ابنُ دُريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك ودعتك إِلَىٰ مكرمَة أَو نهتك عَن قَبِيح فَهِيَ حِكْمَة وَحكم»(٣). ومنه «حَكَّمَهُ فِي الأَمْرِ تَحْكِيمًا: أَمَرَهُ أَنْ يَحْكُمَ فاحْتَكَمَ»(٤).

لقد استعمل القرآن الكريم المادة اللغوية (ح ك م)، في صيغ متعددة، وسنركز الضوء علىٰ تلك الصيغ، التي تدل علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة، وهي: الحكمة، يحكِّموك، يحكم، وبلغت نسبتها (١٩٪)، من مجموع صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم. وسنحلل هذه الصيغ، حسب نوعيها: الاسم، والفعل.

١,٣ الاسم: لقد جاءت صيغة حكمة، خمس مرات(٥)، أي ما نسبته (٦٢٪)،

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس. (٢/ ٩٢).

(٢) العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٣/ ٦٦).

(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن حسن. (١/ ٥٦٤).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (ص:١٠٩٥).

(٥) البقرة:١٢٩، و:١٥١. آل عمران:١٦٤، الجمعة:٢، الأحزاب:٣٤.

من النسبة المئوية للجذر (ح ك م)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (٤).

١,٤ الفعل: اشتق من الجذر (ح ك م)، فعل مضارع، دلَّ في سياقه القرآني علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة النبوية، وهذا الفعل هو: (يحكم)، الذي جاء في ثلاثة مواضع(١)، وبلغت نسبته (٣٨٪) من النسبة المئوية للجذر (ح ك م)، كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (٤).

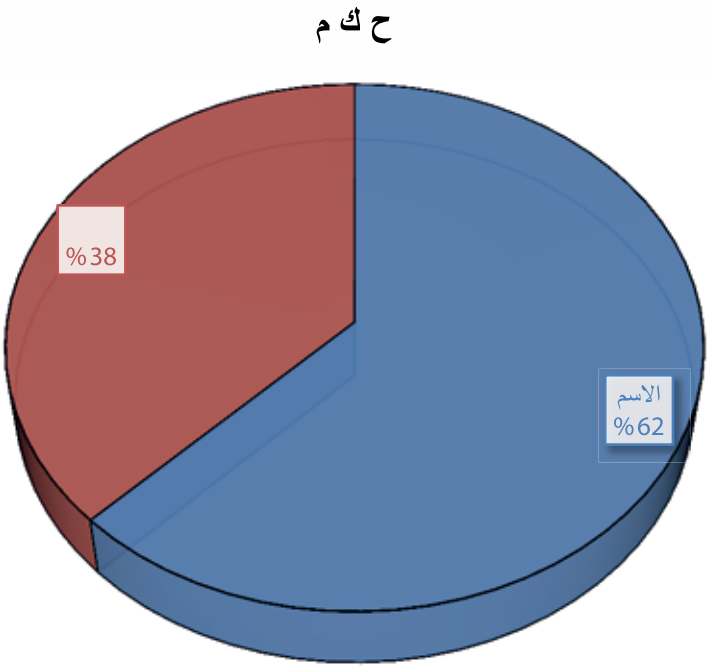

الرَّسم البياني رقم (٤)

(١) النساء:٦٥، النور:٤٨، النور:٥١

٢,١ الاسم: الحكمة

إنَّ رسالة أنبياء الله تعالىٰ إلىٰ أقوامهم واحدة، وإن اختلف الزمان، أو اختلفت طريقة أداء العبادات، وعندما كان إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان البناء المادي لبيت الله الحرام، دَعَوا الله تعالىٰ، أن يُتمَّمَ لهما البناء المعنوي للأمة المسلمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، وهذا البناء المادي، لا يتمُّ إلا بتوافر شروط، منها؛ استمرار رسالة التوحيد في أرضٍ قاحلةٍ سيكون لها الريادة العالمية في قابل الأيام، وهذه الرسالة تحتاج إلىٰ مُبلِّغ يبلغ الناس تعاليم ربهم، ويشرح لهم دقائقها، وتبرز هنا الحكمة، التي سبق أن وضحنا المقصود بها، وهي تعني نشر العدل والعلم، ووضع الأشياء في مكانها الصحيح، ويُقصد بتعليم الحكمة الوقوف علىٰ أسرار الكتاب المنزل من الله تعالىٰ، وما «تكمل به النفوس من المعارف والأحكام»(١)، وهذا لا يكون إلا بتوجيه من الرسول إلىٰ اتباعه، وهذا التعليم ليس خاصًا بنبي الله محمد، ولكنه سُنَّة لكل نبي أُرسل إلىٰ قوم من الأقوام، ومن أجل ذلك، جاء الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حتىٰ يسيرَ أمرُ الله في الأمم اللاحقة، كما سار في الأمم السابقة.

وفي مواضعَ أخرىٰ من القرآن الكريم(٢)، يُذكِّرُ الله تعالىٰ عباده المؤمنين، بنعمه عليهم، عندما بعث فيهم رسولًا يُبيِّن لهم شَرْعَ الله ويبلغُهم كتابَه، ويشرح لهم تعليمات ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ

(١) روح المعاني، للألوسي. (١/ ٣٨٥).

(٢) البقرة:١٥١، آل عمران:١٦٤، الجمعة:٢.

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، واستخدم القرآن الكريم، مصطلح الحكمة، لكل ما بيَّنه الرسول ﷺ للمسلمين مما غاب عنهم في كتاب الله، أو لم يرد له تفصيل، ويُراد بالحكمة أيضًا، «مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَتَقْنِينِ الْأَحْكَامِ لِأَنَّ ذَلِكَ كلّه مَانع للأنفس مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَاخْتِلَالِ النِّظَامِ»(١).

إنَّ أفضلَ مكانٍ يُمكن أن تؤخذَ منه هذه الحكمة، بيوت النبي ﷺ من أجل ذلك، أمر الله تعالىٰ، زوجات النبي ﷺ أن يُحدِّثنَ المؤمنين، بما يفعله رسول الله ﷺ في بيته. وَوَصَفَ القرآنُ، تلك الأفعال والأحاديث بالحكمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٤]، وقد ذهب الإمام الطبري، وغيره من المفسرين، إلىٰ أنَّ المقصود بالحكمة، في هذه الآية: «ما أوحي إلىٰ رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السُّنَّة»(٢). وأكد الإمام الشافعي، أنَّ المقصود بالحكمة في هذه الآية، ما هي إلا «سنةُ رسول الله»(٣).

٢,٢ الفعل: يحكم

من تمام تأييد الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ أن يَنزل الناس لحكم النبي ﷺ، وقضائه، بل إنَّ إيمانهم لا يكون كاملًا، إن لم يقبلوا حكمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ولكن لماذا خصَّ الله تعالىٰ، الرضا بقضاء رسول

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٤/ ١٥٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري. (٢٠/ ٢٦٨).

(٣) الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس. (ص٧٨).

الله، في المنازعات سببًا لتمام الإيمان؟ وجواب ذلك، في شقين، أولهما:

أنَّ الرسول ﷺ عندما يحكم «بِمَا شَرَعَ اللهُ مِنَ الْأَحْكَامِ لَا يَحْتَمِلُ الْحَيْفَ؛ إِذْ لَا يُشَرِّعُ اللهُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا يُخَالِفُ الرَّسُولُ فِي حُكْمِهِ شَرْعَ اللهِ تَعَالَىٰ»(١).

وثانيهما: أنَّ النفس البشرية، عند النزاع، تكون في حالة من الغضب، وتريد أن تميل كفة الميزان إلىٰ جانبها، حتىٰ ولو كانت ظالمة، والإسلام، يدعو إلىٰ رد الحقوق لأصحابها، وإظهار الحق بغض النظر عن صفات المتنازعين، أو مكانتهم الاجتماعية، وهنا يظهر جوهر الإيمان في النفس المؤمنة، التي تسمع الحكم النبوي، وتطيعه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، تلك الدعوة التي تقوم علىٰ السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم اللّه ورسوله هو الحكم وما عداه الهوىٰ، بل إنَّ القرآن رفض أن يكون هناك خيار آخر، بعد قضاء الله ورسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، ولقد رفع الله من شأن نبيه، عندما جعل قضاء رسوله، من قضائه، جلَّ في عُلاه، وعلىٰ الناس «أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه، واختيارهم تلوا لاختياره»(٢). ولذلك تقضي النفسُ المؤمنةُ حياتها جاهدةً في طاعة الله ورسوله، وعدم عصيان ربها، أو مخالفة سنة رسولها، في الأوقات كلها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤]، فإذا عصت هذه النفس، فإن مصيرها العذاب الخالد

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ١١١).

(٢) الكشاف، للزمخشري.(٣/ ٥٤٠).

في النار، وفي إضافة الهاء في «رسوله»، تجعل من يعص الرسول، عاصيًا لله تعالىٰ، وقد قال بعضُ المفسرين إنَّ «الهاء في (حدوده) تعود علىٰ الرسول؛ لأنه المبلغ لحدود الله»(١). وصيغتا «قضىٰ»، و «يعص»(٢) من الصيغ القرآنية التي تدلُّ علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، حيث بلغت النسبة المئوية، للأولىٰ (٢٪)، في حين بلغت النسبة المئوية للأخرىٰ (٧٪) كما يظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

ولكن، إن دخل النفسَ شيءٌ من النفاق، أو عدم التسليم لما يصدرُ عن رسول الله من أحكام، أعرضت، ورفضت، وتمنعت، قال تعالىٰ، في وصف هذه الفئة: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور:٤٨]، وسبب تمنع هذا الفريق؛ لأنهم يعلمون أن حكم اللّه ورسوله لا يحيد عن الحق ، ولا ينحرف مع الهوىٰ، ولا يتأثر بالمودة والشنآن. وهذا الفريق من الناس لا يريد الحق ولا يطيق العدل، بل إنه يؤدي إلىٰ تشرذم الصف المؤمن، ويعمل علىٰ تفتيت السلم الأهلي، والإسلام وضع السُّبل كافة لمنع مثل هذه الظاهرة، وهي ظاهرة النفاق، وقد استخدم القرآن صيغة الفعل المضارع (يحكم) «لِإِفَادَةِ تَجَدُّدِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَكَرُّرِ الْكَذِبِ وَنَحْوِهِ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ»(٣).

ذكرنا، فيما مضىٰ، أن الجذر (ح ك م) استخدم مرةً اسمًا، ومرة فعلًا، واختلفت نسبتهما المئوية، من حيث عدد مرات الورود، فما سبب هذا الاختلاف بين النسبتين؟

تفوقت النسبة المئوية للاسم (حكمة) علىٰ النسبة المئوية للفعل (يحكم)، حيثُ بلغت (٦٢٪) للأولىٰ، و(٣٨٪) للثانية، كما ظهر في الرَّسم البياني السابق،

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، القيسي، مكي بن أبي طالب. (٢/ ١٢٤٩).

(٢) وردت هذه الصيغة في ثلاثة مواضع، هي: النساء:١٤، و:الأحزاب:٣٦، و:الجن: ٢٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (١٨/ ٢٦٨).

رقم (٤)، ومردُّ ذلك، أنَّ الاسم يدلُّ، عند استخدامه في الجملة، علىٰ ثبات المعنىٰ واستقراراه[١]، في حين، يدلُّ الفعل، علىٰ التجدد[٢]. وعند العودة إلىٰ النسبتين السابقتين، ومحاولة تحليل اختلافهما، نقول:

أ) إن تفوق النسبة المئوية للاسم، وهو الحكمة، هنا، يعود إلىٰ أنَّ السُّنَّة ثابتةٌ لا تتغير، مهما اختلفت العصور والأزمان، وثباتها جاء بتأييد من الله تعالىٰ لرسوله، وإذما تغيَّرت أحوال العباد، بسبب التطور الذي تعيشه البشرية عبر العصور، فإنَّ أُسس السُّنَّة ثابتة، ويمكن القياس عليها، وإنزال ما يستجد من الحياة، علىٰ سياسة السُّنَّة، ومن أجل ذلك، كان من معاني السُّنَّة الحكمة، التي تعني، كما قلنا: العدل، وحُسن سياسة العباد والبلاد، لما فيه خيرهم، الذي أراده الله تعالىٰ.

ب) يُقصدُ بتجدد الفعل في هذا المقام المقالي، أن يبقىٰ العمل في السُّنَّة النبوية قائمًا في حياة الناس كُلِّها، وأن يُجددوا عهدهم مع الله دائمًا، للعمل بما يُرضيه، وبما شرَّعه لهم، في كتابه الحكيم، وما قاله الرسول الكريم، وتجدر الإشارة إلىٰ أنَّ النسبة المئوية للفعل هنا، لم تكن قليلة، وهذا يعني، أن المؤمن عليه أن يعمل لتحقيق السُّنَّة في حياته، وهذا العمل يجب أن يسبقه يقين بها، وبأنها ثابتة في عقيدته؛ وثبات العقيدة في نفس المؤمن، يعني رسوخها، والاطمئنان إلىٰ مبادئها، وهو الأهم، ثم يأتي العمل بها، وهو مهم أيضًا.

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني. (ص:١٧٤).

(٢) السابق نفسه.

المبحث الثالث

المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم

من المعاني المتعددة، التي يُعطيها الأصل اللغوي (ش ق ق)، الشِّق بالكسر، ويعني: «نصف الشيء»(١)، وإذا ما وقع خلاف بين جماعة متحدة، أو تمرَّدَ أحدُ أعضائها علىٰ رأيها تفرَّق أمرهم، ويُقال عندها: «انشقت عصا القوم بعد التئامها»(٢)، وبذلك، يكون الانتقال إلىٰ أحد الرأيين، أو الاتجاهين، بقصد العصيان والعناد، هو المشاقة(٣).

بلغت النسبة المئوية للصيغة اللغوية (شاق)، التي تدلُّ علىٰ معاداة الرسول، ومخالفة أوامره، (١٠٪)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣].

ذكرنا أنَّ معنىٰ الشقاق، الخروج عن الجماعة، فإذا كان المذكورون في الآية السابقة، كفارًا، فلماذا جعلهم الله في هذه الآية، كأنهم مسلمون؟

قال علماء التفسير: إنَّ المخاطبين في هذه الآية، اليهود، وبعضهم ذهب إلىٰ أن المخاطبين، هم المشركون، في حين، قال آخرون: إنهم أناس آمنوا ثم نافقوا(٤)، والآية تحتمل هؤلاء جميعًا، لأنهم علموا حقيقة الرسول، وصِدْقَ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. (٤/ ١٥٠٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس. (٣/ ١٧١).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٥/ ٢٠٠، ٩/ ٢٨٤)، و: روح المعاني، للألوسي. (٥/ ١٦٧).

(٤) يُنظر: الكشاف، للزمخشري. (٤/ ٣٢٨). و: التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٢٦/ ١٢٦). و: روح =

دعوته، والنص القرآني في هذا المقام، يؤكد ذلك، عندما قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ [محمد:٣٢]؛ فمعرفتهم لحقيقة الإسلام، وإنكارهم له، ورفضهم لدعوة رسول الله، وعدم انصياعهم لأوامره، جعلهم في صف آخر، غير صف الرسول ﷺ وانتقالهم لصف المعاداة، وصناعة المكائد، سيكون مصيره الفشل، فلن يُمكنهم الله من رسوله، وفي قوله: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٣٢]، «تَهْدِيدٌ مَعْنَاهُ؛ هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ الشِّقَاقَ مَعَ الرَّسُولِ، وَهُمْ بِهِ يُشَاقُّونَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الشِّقَاقُ مَعَ اللهِ»(١) ومن يقدر علىٰ حرب الله؟! ثُمَّ، وإنّ كان هذا خطاب موجهًا إلىٰ المشركين، أو من أظهروا الخلاف مع رسول الله، فإنَّ ظلال التهديد قد تصل إلىٰ المؤمنين، بأن أي مخالفة لأوامر رسول الله، قولًا أو عملًا، مصيرها الفشل، ومصير فاعلها العذاب. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

إنَّ دلالة استخدام الفعل «يشاقق»، في هذا المقام القرآني المقالي، يُعطي إشاراتٍ واضحةً بحرمة الشقاق مع الرسول؛ لأنَّ المشاقة تعني وجود صفين مختلفين داخل الجماعة المسلمة، صفٍ لرسول الله وأفعاله، وصفٍ يعمل بغير فعل الرسول، مما يجعل الِاقْتِدَاء بِالرسول فِي أَفْعَالِهِ، يصل إلىٰ مرتبة «الوجوب»(٢).

من المواضع التي تحتاج إلىٰ تدبر، ذلك التشابه العجيب، بين موضعين قرآنيين، قد يظنه بعضهم أنه نوع من التكرار، يقول تعالىٰ في سورة الأنفال: ﴿ذَٰلِكَ

= المعاني، للألوسي. (١٣/ ٢٣٣).

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٨/ ٦٠).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي. (١١/ ٢٢٠).

بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، ويقول في سورة الحشر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

إنَّ تدبر ما جاء في هذين الموضعين، يُعطي الإنسان ثقةً بأنَّ النسق القرآني، لها أسسها المتينة، وعجائبها الفريدة، فكلُّ كلمة في القرآن الكريم، وضعت في مكانها السليم، ولا يمكن أن تأتي مفردة، أو كلمة لتسدَّ مكان الأخرىٰ.

إنَّ معنىٰ يُشاقق، في الموضعين السابقين، لا يختلف في ظاهره، عمَّا سبق، ولكن، لماذا قال مرة «يُشاقق»، ومرة أخرىٰ «يشاق»؛ أي مرةً بفك إدغام القاف، وأخرىٰ بإدغامها؟

إنَّ حكم الإظهار والإدغام في مثل هذه الحالة، الجواز في اللغة العربية(١). لقد وقف، أمام هاتين الآيتين، بعضُ علماء التفسير(٢)، وخلصوا إلىٰ أنَّ سبب فكِّ الإدغام في ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، يعود إلىٰ تعلق القاف، برسوله، فإذا حذفت لفظ الجلالة، يُصبح التركيب (ومن يشاقق رسوله)، بمعنىٰ أنه «وحّد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد؛ لأنه ذكر الله وحده، وفكَّهما وأظهرهما؛ لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين»(٣).

إنَّ العودة إلىٰ الآيتين في سياقهما القرآني، يُعطينا إشارات إلىٰ أنَّ إدغام القاف،

(١) يُنظر: الكتاب، لسيبويه. (٤/ ٤٤٣). وكذلك:
شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي، رضي الدين. (٣/ ٢٤٩).

(٢) يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الأصبهاني، محمد بن عبد الله. (١/ ١٢٦٠-١٢٦٣). وكذلك:
ملاك التأويل. الغرناطي (١/ ١٠٩).

(٣) التعبير القرآني، السامرائي، فاضل صالح. (ص:١٦).

أو إظهارها، يحمل في طياته معانٍ دلالية دقيقة، استطاع صوت القاف، بما يتمتع به من ملامح تمييزية، أن يؤديها، ونلخص ذلك فيما يأتي:

أ) ورد فك الإدغام، في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، من سورة الأنفال، وجوُّ السورة بعامة، يتحدث عن نتائج غزوة بدر، والآيات التي ورد فيها الفعل «يشاقق» تتحدث عن مصير كفار قريش، الذين اصطفوا في صف معادة الرسول ﷺ بعد أن ظهر لهم صدق نبوته، فكان مصيرهم القتل، والعذاب، يقول تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

فجاء فكُّ الإدغام ليقول لنا: إنَّ الله تعالىٰ يحذر أيَّ إنسان من شقاق الرسول، ومعاداته، مهما كان هذا الشقاق، كبيرًا أو صغيرًا، وسيكون مصيره، مثل مصير كفار قريش.

ب) ورد الإدغام، في قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾، من سورة الحشر، وعودة إلىٰ جوِّ السورة مرة أخرىٰ، وهي سورة الحشر، حيث الحديث فيها عن مصير طائفة من اليهود بعد نقضهم العهود والمواثيق، التي عقدوها مع رسول الله ﷺ، يقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

إنَّ تاريخ تعامل اليهود مع أنبياء الله تعالىٰ، واضح، وقد ذُكر في القرآن كثيرًا، فكم من نبيّ قد قتلوا؟! وكم من رسول قد كذَّبوا؟! بل إنهم تجرأوا علىٰ الله، جلَّ في عُلاه، فتارة طلبوا رؤيته جهرة، وتارة أخرىٰ، رفضوا نعمه عليهم، وامتنعوا عن القتال، وطلبوا من نبيهم أن يقاتلَ الأعداءَ مع ربه، وكرروا هذا التاريخ مع رسول الله، محمد ﷺ.

هذا التاريخ الأسود من تكذيب الله، جلَّ في علاه، وتكذيب رسوله، مكّن الإدغام من أن يُعطي دلالات واسعة، لا يمكن أن تظهر لو حدث فك الإدغام؛ فصوت القاف، صوت انفجاري(١)، ويميل الناطق بمثل هذا الصوت الانفجاري، إلىٰ طرائق نطقية لهجية متعددة، تخلصه، من صعوبة نطقه، فإذا كان النطقُ بصوت انفجاري واحد صعبًا، فكيف يكون الحال النطقي، لصوتين انفجاريين متماثلين، مدغمين في صوت واحد؟ وهو صوت القاف المشدد، عندها، سيكون النطق أصعب وأشد، وكأنَّ هؤلاء اليهود، شددوا علىٰ أنفسهم، فشدد الله عليهم القول والعذاب، وكذبوا أنبياء الله تعالىٰ، الذين أرسلَهم إليهم، وفي معاداة أنبياء الله، معاداة لله تعالىٰ، الذي أرسل تلك الرسل، وكان الله تعالىٰ، قد أعلمهم بأنه سيرسل في آخر الزمان رسولًا، صفاته مذكورة في كتبهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى

(١) يُعدُّ هذا الصوت واحدا من الأصوات العربية، التي أصابها، نوع من التطور، فأصبح له تنوعات ديافونية، وفاريفونية مختلفة في اللهجات العربية، يدرسها علم الأصوات الحديث، يُنظر: علم الأصوات. لكمال بشر. (ص:٣٨٥ وما بعدها)، وكذلك: دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية. لمحمد جواد النوري. (ص: ١٠٩، وما بعدها).

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وبذلك، يظهر لنا، وظيفة إدغام القاف في هذا الموضع، ويبرز جماله السياقي، حيثُ أدىٰ وظيفة معنوية، تحمل الزجر والتهديد، كأنَّ السياق القرآني المقامي، أراد أن يُثبتَ لنا حقيقة إلهية، أساسها: أنَّ من يعادي هذا الرسول، ويتخذ صفًا غير صفه، فإنَّه يعادي الله أولًا، قبل أن يعادي الرسول، وسيكون مصيره العقاب الشديد. كما حدث مع اليهود الذين كذَّبوا رسل الله، وشددوا فشدد الله عليهم، وأحاطهم الذل والهوان.

المبحث الرابع

الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم

الأصل في معنىٰ الحدّ: «الحاجز بين الشيئين»(١)، واشتق منه المُحادَّةُ، وهي: الْمُخَالَفَةُ وَالْمُنَازَعَةُ بين رجلين أو صفين، ويقصدُ بها أنَّ «كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُجَاوِزُ حَدَّهُ إِلىٰ الْآخَرِ»(٢)، وتشترك هذه الصيغة، في بعض معانيها، مع صيغة (شقق)، التي وقفنا أمامها سابقًا، وتساوت نسبتهما المئويتان، حسب الرَّسم البياني رقم (١)، أي (١٠٪)، ومع هذا التشابه الظاهر، إلا أن بينهما اختلافًا، سنقف أمامه.

من المواضع التي استخدمت فيها هذه الصيغة للدلالة علىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة، قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]، جاءت هذه الآية، في سياق تحذير المنافقين، من عذاب الله الأليم، فهؤلاء المنافقون يُساعدون الكافرين في حربهم علىٰ رسول الله، سواء أكانت تلك المساعدة بمحاولة شق الصف المؤمن، ونشر الفتن والشائعات، أم معاونة الكافرين المادية، والمقصود بالمحادة هنا، أن يَصِيرَ الرجلُ «فِي حَدٍّ غَيْرِ حَدِّ أَوْلِيَاءِ اللهِ بِالْمُخَالَفَةِ»(٣)، والمخالفة قد تكون في الرأي، أو بالسلاح؛ أي محاربة دين الله(٤).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. (٢/ ٤٦٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور. (٣/ ١٤٠).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي. (١٦/ ٩٢).

(٤) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد. (٢/ ٣٧٨. بتصرف).

ومن الملاحظ، في استخدام هذه الصيغة، في القرآن الكريم، أنها تُحذّر من المآل السيء لمعاداة رسول الله؛ ذلك المآل الذي سيكون في الآخرة عذاب جهنم، ويكون في الدنيا ذُلًا مع عذاب ألم الخسارة، وعدم تحقق المراد. إضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ هذه الصيغة تطلب من المؤمنين صراحةً التخلي عن المنافقين، حتىٰ وإن كانوا أقرباءهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ونتيجة هذا التخلي، الفوز برضوان الله تعالىٰ، وجنته.

وبذلك تختلف صيغة (حدد)، عن صيغة (شقق)، في أنَّ الخطاب في صيغة (حدد)، موجهٌ إلىٰ المنافقين الذين يعملون علىٰ زعزعة الصف المؤمن، وإمداد أعداء الله، بالسلاح، وتسهيل حربهم علىٰ دين الله ورسوله، وتحذرهم من مصيرهم المهزوم في الدارين، في حين، كان الخطابُ في صيغة (شقق) موجهًا إلىٰ الكافرين، واليهود، والمنافقين، الذين يحاربون الله ورسوله، إضافة إلىٰ ذلك، فإنَّ صيغة (حدد) تعني الوقوف أمام الدين بالسلاح، وموالاة أعدائه، وصيغة (شقق) تحتمل الأمرين؛ أي المخالفة بالرأي، والقتال.

المبحث الخامس

الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم

من الصيغ اللغوية، التي دعت إلىٰ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، صيغة (آتاكم) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ويُقصدُ بها: «مَا أَعْطَاكُمُ الرَّسُولُ مِنَ الْفَيْءِ فَخُذُوهُ فَهُوَ لَكُمْ حَلَالٌ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْ أَخْذِهِ فَانْتَهُوا»(١)، لقد وردت هذه الصيغة، في سياق أوامر الله تعالىٰ للمؤمنين، بضرورة التسليم بقضاء رسول الله في توزيع الغنائم التي حصلوا عليها بعد جلاء بني النضير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، يُظهر أسلوب الشرط الجازم في هذه الصيغة، أنَّ نتيجة عدم الرضا بما قسم رسول الله، هو عقاب الله الشديد، ومع أنَّ هذه الصيغة القرآنية جاءت في مقام مقالي قرآني خاص، وهو، كما ذكرنا، توزيع الغنائم، إلا أن «الأجود أن يكون عامًا في كل ما أتىٰ رسول الله ﷺ ونهىٰ عنه»(٢)، وقد استدلَّ الفقهاء بهذا العموم، بتحريم «الْخَمْرِ، وَحُكْمِ الْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الْمَخِيطِ لِلْمُحْرِمِ»(٣)، وغيرها من الأحكام الفقهية المشروحة في كتب

(١) مفاتيح الغيب، للرازي. (٢٩/ ٥٠٧).

(٢) الكشاف، للزمخشري. (٤/ ٥٠٣).

(٣) البحر المحيط في التفسير. ابن الأثير، محمد بن يوسف بن الأثير. (٨/ ٢٤٤).

الفقه المتعددة، وبذلك يُصبح معنىٰ هذه الصيغة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؛ أي «لا تخالفوه في شيء، ولا تتوهموا في أفعاله وأقواله غير الحق»(١). وقد بلغت نسبة هذه الصيغة، (٢٪) من النسب المئوية التي يُظهرها الرَّسم البياني رقم (١).

❁ ❁ ❁

(١) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني. الكوراني، أحمد بن اسماعيل. (ص:١٢٩).

المبحث السادس

الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم

ما جاء الإسلام إلا لبثِّ الحياة في قلوب أصابها الجفاف الإيماني، وابتعدت عن صراط ربها، الذي ارتضاه لها، وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين الصادقين، الاستجابة لنداء الله ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، استخدم القرآن هنا، صيغة فعل الأمر «استجيبوا»، الذي يُقصدُ به: «الطاعة والامتثال»(١)، لله وللرسول، والاستجابة تكون لله بالطاعة المعنوية، أما الاستجابة للرسول، فإنها، في هذا المقام المقالي القرآني، أعم؛ لأنها تكون بالطاعتين المعنوية، والحسية، ويُقصد بالحسية، الامتثال للنداء، والقيام بالمهام الموجهة إليهم(٢)، لأنَّ الامتثال لطلبات النبي ﷺ فيه حياة لهم، فهو يدعوهم إلىٰ منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان. وقد بلغت هذه النسبة المئوية لهذه الصيغة (٢٪)، كما ظهر في الرَّسم البياني رقم (١).

❁ ❁ ❁

(١) الكشاف، للزمخشري. (٢/ ٢١٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور. (٩/ ٣١٢). بتصرف

الخاتمة

وبعد،

فقد وصلنا إلىٰ نهاية بحثنا هذا، الذي نرجو من الله قبوله، وقد حاولنا فيه، مُعتمدين علىٰ الله تعالىٰ، توظيف أسس علم اللسانيات، لتفسير النص القرآني، مع التركيز علىٰ صيغ وجوب اتباع السنة في القرآن الكريم، **وخلصنا إلىٰ النتائج الآتية:**

١. تُعدُّ المادة اللغوية «ط و ع» أكثر المواد استخدامًا، فقد بلغت ما نسبته (٤١٪)، وفي ذلك دلالة كبيرة، إلىٰ أنَّ القرآن الكريم، طلب صراحةً طاعة الرسول، وما يصدر عنه من أقوال، وأفعال، وتشريعات.

٢. إنَّ تعددَ صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم، واختلاف اشتقاقاتها، يُعطي رسائل صريحةً، بأنَّ القرآن قد فرضَ علىٰ المؤمنين اتِّباع أحكام السُّنَّة، وهذه الأحكام، قد رضي الله عنها، وهي صالحة للبشرية، في كل زمان ومكان، وما علىٰ المؤمنين، إلا توظيفها في حياتهم، وهذه السُّنَّةُ قادرةٌ علىٰ استيعاب التطورات الاجتماعية والاقتصادية، التي تصيب المجتمعات علىٰ مرِّ العصور.

٣. شرَّف الله تعالىٰ رسوله الكريم، بطرائق لغوية متعددة، مثل إضافة الهاء، و«ال» التعريف، وفي هذا تأييدٌ من الله تعالىٰ، لأفعال الرسول كلِّها.

٤. أكثر الأساليب اللغوية ورودًا مع الصيغ التي وقفنا أمامها، كان أسلوب

الشرط الجازم، وهذا الأسلوب، يُركز علىٰ نتيجة الشرط، وبذلك، من أراد الإيمان التام، ومرافقة الرسول، فعليه اتباع الرسول، أما من خالف تعليمات الرسول، فمصيره الخروج من الصفِّ الإسلامي، والعذاب الأليم في النار.

٥. حرصت الآيات القرآنية، التي وردت فيها الصيغ التي تدعو إلىٰ اتِّباع الرسول، علىٰ رص صف المجتمع الإسلامي، وزيادة أواصر المحبة والأخوة، وحذَّرت من أيِّ تعاون مع أعداء الله وأعداء رسوله.

٦. كلُّ كلمة في القرآن الكريم لها مكانها، الذي لا يمكن أن تسدَّ مكانها كلمة أخرىٰ، وظهر لنا الفرق، في الاستخدام القرآني بين «من يُطعِ الله ورسوله»، و «من يُطع الرسول»، وبين «من يُشاقق الله ورسوله»، و «من يشاقِّ الله»، وعلىٰ ذلك فقس.

٧. إنَّ أي تشابه ورد في القرآن الكريم، له تفسيره الواضح، وسياقه الخاص، مما يجعلنا نقول: إنَّ القرآن الكريم، لا يُوجدُ فيه تَكْرار، بل هو كتاب حكيم، له أسلوبه القويم، ويحتاج إلىٰ كثرة تدبر، وقوة ملاحظة.

٨. يؤدي الصوت في السياق اللغوي، دلالة معنوية، تُكسب الصيغة جمالًا، والمعنىٰ إبرازًا.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان». ابن حبان، محمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط:٢. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٩٣م.

٢. «أمالي ابن الشجري». الشجري، هبة الله بن علي. تحقيق: محمود الطنجي. ط:١. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٩٩١.

٣. «البحر المحيط في التفسير». ابن الأثير، محمد بن يوسف. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ.

٤. «التحرير والتنوير». ابن عاشور، محمد. تونس: الدار التونسية للنشر. ١٩٨٤م.

٥. «تفسير الشعراوي – الخواطر». الشعراوي، محمد متولي. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ط:١، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦. «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط:١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.

٧. «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور». ابن الأثير، نصر الله بن محمد. تحقيق: مصطفىٰ جواد و:جميل سعد. بغداد: مطبعة المجمع العلمي. ١٣٧٥هـ.

٨. «جمهرة اللغة». ابن دريد، محمد بن حسن. تحقيق: رمزي البعلبكي. ط:١. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٧م.

٩. «دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية». النوري، محمد جواد. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠١٨م.

١٠. «درة التنزيل وغرة التأويل». الأصبهاني، محمد بن عبد الله. تحقيق: محمد آيدين. ط:١.

مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ. ٢٠٠١م.

١١. «دلائل الإعجاز في علم المعاني». الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ-١٠٧٨م)، تحقيق: محمود شاكر. ط:٣. القاهرة: مطبعة المدني. ١٤١٣هـ.

١٢. «الرسالة». الشافعي، محمد بن إدريس. تحقيق: أحمد شاكر. ط:١. القاهرة: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي. ١٩٤٠م.

١٣. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين. تحقيق: علي عطية. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ.

١٤. «سنن الترمذي». الترمذي، محمد بن عيسىٰ. تحقيق: أحمد شاكر وآخرين. ط:٢. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي. ١٩٧٥م.

١٥. «شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك». ابن عقيل، عبد الله. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط:٢٠. القاهرة: دار مصر للطباعة. ١٩٨٠م.

١٦. «شرح المفصل للزمخشري». ابن يعيش، علي. تحقيق: إميل يعقوب. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠١م.

١٧. «شرح شافية ابن الحاجب». الاستراباذي، رضي الدين. تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين. ط:١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٥م.

١٨. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية». ابن حماد، إسماعيل. تحقيق: أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٧م.

١٩. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن اسماعيل. تحقيق: محمد الناصر. ط:١. القاهرة: دار طوق النجاة. ١٤٢٢هـ.

٢٠. «علم الأصوات». بشر، كمال. القاهرة: دار غريب. ٢٠٠٠.

٢١. «العين». الفراهيدي، الخليل بن أحمد. تحقيق: إبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي. القاهرة: دار ومكتبة الهلال. (د.ط) (د.ت)

٢٢. «غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني». الكوراني، أحمد بن اسماعيل. تحقيق: محمد

كوكصو. تركيا: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية ١٤٢٨هـ.

٢٣. «غريب القرآن». ابن قتيبة، عبد الله. تحقيق، السيد أحمد صقر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٢٤. «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي. ط:١. دمشق: دار ابن كثير. ١٤١٤هـ.

٢٥. «القاموس المحيط». الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ط:٨. بيروت: مؤسسة الرسالة. ٢٠٠٥م.

٢٦. «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:٢. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤٠٨هـ.

٢٧. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، محمود بن عمر. ط:٣. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٧هـ.

٢٨. «المسند». ابن حنبل، أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط:١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

٢٩. «معاني النحو». السامرائي، فاضل صالح. ط:١، عمّان: دار الفكر. ٢٠٠٠م.

٣٠. «مفاتيح الغيب». الرازي، فخر الدين. ط:٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ.

٣١. «مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر. ١٩٧٩م.

٣٢. «ملاك التأويل». الغرناطي، أحمد بن إبراهيم. ط:١. بيروت. دار الكتب العلمية،

٣٣. «النكت والعيون». الماوردي، علي بن محمد. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية». القيسي، مكي بن أبي طالب. ط:١. الشارقة: جامعة الشارقة. ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ٢٩٣
المقدمة ٢٩٦
أولًا- أهمية البحث ٢٩٧
ثانيًا- أسباب اختيار البحث ٢٩٨
ثالثًا- أهداف البحث ٢٩٨
رابعًا- الدراسات السابقة ٢٩٩
خامسًا- منهج البحث ٢٩٩
سادسًا- خطة البحث ٢٩٩
دلالات صيغ وجوب اتِّباع السُّنَّة في القرآن الكريم ٣٠١
المبحث الأول: المادة اللغوية (ط و ع)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٠٢
المبحث الثاني: المادة اللغوية (ح ك م)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٢١
المبحث الثالث: المادة اللغوية (ش ق ق)، وصيغها في القرآن الكريم ٣٢٨
المبحث الرابع: الصيغة اللغوية (حدد)، في القرآن الكريم ٣٣٤
المبحث الخامس: الصيغة اللغوية (آتاكم)، في القرآن الكريم ٣٣٦
المبحث السادس: الصيغة اللغوية (استجيبوا)، في القرآن الكريم ٣٣٨
الخاتمة ٣٣٩
فهرس المصادر والمراجع ٣٤١
فهرس الموضوعات ٣٤٤

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Number 9; volume 5 Muharram 1442 AH, corresponding to August 2020

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Extraction of Rhetorical Rules from the Qira'at (Recitation) of the Holy Quran an Empirical Study**
  Dr. Talal bin Ahmed bin Ali bin Mohammed
- **Stylistic Inimitability in the Tafsir of Abu Al Saud "Tafsir of Surat Al-Imran as an Example"**
  Dr. Miloud Arnibah
- **The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran**
  Bouchra Bahi
- **Reasons for Preserving Allah's Grace and Avoiding His Wrath**
  Dr. Munira Abdul Aziz bin Ali Saui
- **Indications of the Quranic Commands to follow the Sunnah of Prophet Mohammed: An Analytical Study**
  Dr. Bassam Mosbah Aghbar
- **Report on a Thesis entitled: "Sheikh Abdul Rahman Al Sa'adi and His Efforts in the Contemplation of the Qur'an"**
  Researcher Zakarya bin Abdul Rahman bin Mohammed Ba Fadhl
- **Report on Moddaker Program of the Tafsir Center for Quranic Studies**
- **Report on the Forum "Renovation in the Contemporary Tafseer (Quranic Exegeses): " Presentation and Criticism.» Organized by The Laboratory of the Quranic Studies and the Sunnah.**

25 SR